

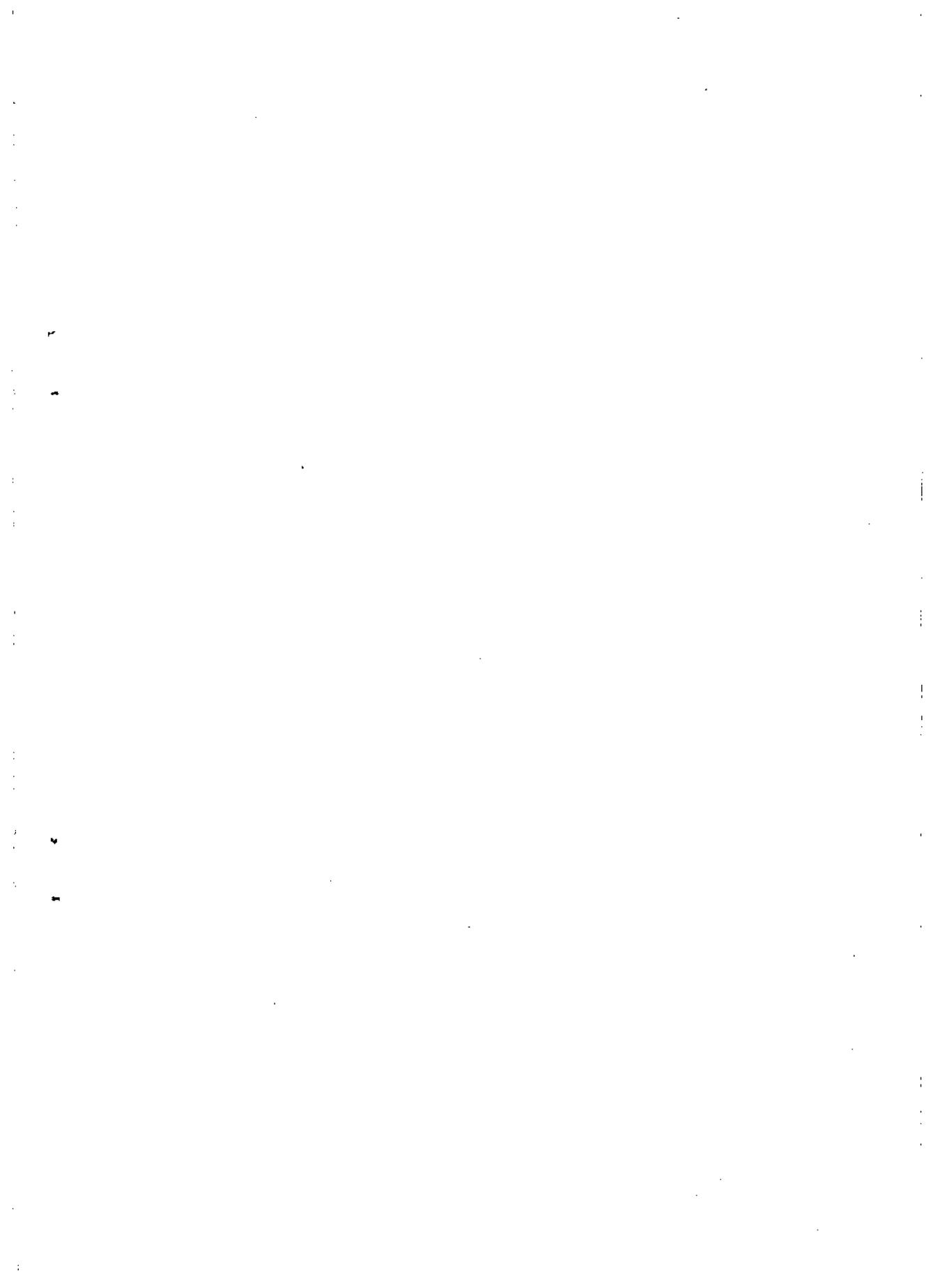
أصفاؤ

منذ نشأتها حتى بداية العصر السلجوقي

وراسة تاريخية

الدكتور / مجدى عبد المنعم عجمية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



أصفهان

منذ نشأتها حتى بداية العصر السلجوقي

« دراسة تاريخية »

أصفهان والأصل الفارسي :

لقد اختلفت الآراء وتعددت في معرفة أصل كلمة « أصفهان » ، فالبعض يسمونها « اسپهان » وفق الحروف الفارسية ، وآخرون يطلقون عليها « أصفهان » طبقاً للحروف العربية « فاين دريد » يرى أن « اصفهان » اسم مركب من الأصب اسم البلد يلسان الفرس وهان اسم الفارس ، ومن هنا يُراد به « بلاد الفرسان » .

ويقول « عبید الله » : المعروف أن « الأصب » بلغة الفرس هو الفرس ، و « هان » كأنه دليل الجمع فمعناه الفرسان ، و « الأصفهاني » الفارسي (١) .

ويري « حمزة بن الحسن » أن « اصفهان » اسم مشتق من الجنديّة لأن مرد هذا اللفظ إلى الفارسية هو « اسپهان » جمع « اسپاه » اسم للجنّد والكلب كلفظ سك وهو أيضاً اسم للجنّد والكلب ، وإنما لزمها هذان الاسمان لاشتراكهما في الفعل والحدث فأفعالهما للحراسة وفق اسميهما ، ويرى أن « الكلب » يسمي في لغة « سك » وفي أخرى « أسپاه » ، وتخفف فيقال « اسپه » ، وبهذا جمع هذان الاسمان وأطلقا

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ص ٢٠٧ ، ج ١ ، ط بيروت ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

علي بلدين مخصصين للجنود الأساورة ، فأطلقوا علي « أصبهان »
« أسباهان » وعلي سجستان : سكان وسكستان .

ويذكر « ابن حمزة » في اشتقاق « أصبهان » حديثاً يتردد علي
السنة العروام قال عن أصل اللفظ « أصله أسباه آن أي هم جنود
الله » (١) .

ويفسر « المافروخي » أصل هذه اللفظة فيقول : « أصل لفظة
أصفهان « اسفاهان » لأنه كان عليها في أيام الفرس « كوذرين
كشواذ » ، وهو حينئذ يركب في ثمانين ابناً له فرساناً شجعاناً فضلاً عن
حفدته وأشباعه وخوله وأتباعه ، وكلما ركبوا قيل « اسفاهان » أي
الجيوش فسميت به لتداولهم في كلامهم وقيل أنه أمر فرمود بنقل
الأحطاب إلي الموضع الذي أراد إحراق إبراهيم الخليل عليه السلام فيه
طاوعه الناس كلهم في نقلها غير أهلها فقيل لهم بعد ذلك (أسفاه آن)
أي جنوده يعني جنود الله » (٢) .

وينقل « ابن شاهنشاه » عن السمعاني : سمعت من بعضهم أنها
تسمي بالعجمية « سياهان » و « سبا » العسكر و « هان » جمع
وكانت عساكر الأكاسرة إذا وقع لهم بيكار يجتمعون بها مثل عسكر
فارس وعسكر كرمان والأهواز فعربت فقيل « أصفهان » (٣) .

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة .

محمد بهار : سبك شناسي ، ص ٥ ، ج ١ ، ط تهران .

(٢) مفضل بن سعد بن الحسين المافروخي الأصفهاني : كتاب محاسن أصفهان ، ص ٦ ، ط
طهران .

(٣) ابن شاهنشاه : تقويم البلدان ، ص ٤٢٣ ، ط باريس ، ١٨٤٠ م .

هذا وقد وردت كلمة أصفهان مكتوبة بالفارسية في صور مختلفة هي «اسپهان» «اصپاهان» ، «اسپاهان» ، و «اسپان» ، و «اپادانا» عند المؤرخين والأدباء والشعراء الإيرانيين (١) .

كما كتب الاسم بشكل سانداني «سپانه» بمعنى العسكر وتعني أيضاً مكان العسكر (٢) .

هذا ويرى هيروودتس أن لفظة «أصفهان» بالميدية «سپاكا» (٣) .

ومن خلال هذا العرض لمعرفة الأصل الفارسي لللفظة «أصفهان» نرى أن هناك اتفاقاً على أن معناها أرض الفرسان الأبطال أو الجند الحارسون أو جند الله وجميعها معانٍ متقاربة ، ولكن هناك اختلافاً في تقسيم الكلمة أو الأصل الفارسي لها ، ولعل أكثر الآراء صحةً وتقسيماً لللفظة «أصفهان» هو أن أصل الكلمة «اسپاهان» وقسمت إلي قسمين «اسپاد» بمعنى الجند ، والألف والنون علامة الجمع للعاقل في اللغة الفارسية وبذلك يصير معناها «الفرسان» .

ركأن هذا اللفظ أخذ يطلق على سبيل المجاز نصاروا يقران «اسپاهان» بمعنى الفرسان ويقصدون أرض الفرسان ، ثم عربت لفظة «اسپاهان» فأصبحت «أصفهان» بقلب السين إلى صاد والياء إلى فاء مثل كثير من الألفاظ الفارسية المعربة .

(١) حسين نور صادقي : أصفهان ، ص ١ ، طهران ، اسفند ، ١٣١٦ .

(٢) حسين نور صادقي : أصفهان ، ص ٢ .

(٣) دائرة المعارف : تقويم البلدان ، ص ٤٢٣ ، ط باريس ، ١٨٤٠ م .

وكذلك وردت « سپاه » ، « اسپاه » ، و « سپه » بنفس المعنى
وبذلك يمكن أن نراها بعد إضافة علامة الجمع « سپاهان » ،
« اسپاهان » ، « سپهان » وجميعها تعني الفرسان الجيوش ،
الجنود (١) .

ومما يؤكد هذا المعنى ، وذلك التقسيم للفظ ماورد في كتب
التاريخ من قصص البطولة النادرة ، والشجاعة النائقة التي اتسم بها
أهل أصفهان فمن ذلك مارواه الطبري عن شجاعة رجل من أهل أصفهان
اعترض علي أمر الضحاك - وهو أحد ملوك الفرس وكانت مدة حكمه
ألف سنة - والغريب أن يقبل الملك هذا الاعتراض علي الرغم من قوته
وجبروته . يقول « الطبري » : « ملك الضحاك بعد جم - فيما
يزعمون ، والله أعلم ألف سنة ، ونزل السواد في قرية يقال لها نرس في
ناحية طريق الكوفة ، وملك الأرض كلها ، وسار بالجرور والعسف ووسط
يده في القتل وكان أول من سن الصلب والقطع وأول من وضع العشور
وضرب الدراهم ، وأول من تخني وغني له قال : ويقال أنه خرج في
منكبه سلعتان فكانتا تضربان عليه فيشتد عليه الوجع حتي يطلبهما
بدماع إنسان فكان يقتل لذلك في كل يوم رجلين ويظلي سلعته
بدماعيهما فإذا فعل ذلك سكن مايجد فخرج عليه رجل من أهل بابل
فاعتقد لواء ، واجتمع إليه بشر كثير ، فلما بلغ الضحاك خبره راعه
فبعث إليه : ما أمرك ؟ وما تريد ؟ قال : ألسنت تزعم أنك ملك الدنيا ؟
وأن الدنيا لك قال : بلي ، قال : فليكن كلبك علي الدنيا ، ولا يكونن

F. Steingass : P. 48 - 651 - 652 , Liban , 1944

(١)

علينا خاصة فإنك إنما تقتلنا دون الناس ، فأجابه الضحاک إلى ذلك ، وأمر بالرجلين اللذين كان يقتلهما في كل يوم أن يقسما علي الناس جميعاً ، ولا يخص بهما مكان دون مكان ، قال : فبلغنا أن أهل أصفهان من ولد ذلك الرجل الذي رفع اللراء وأن ذلك اللواء لم يزل محفوظاً عند ملوك فارس في خزائنهم وكان فيما بلغنا جلد أسد ، فألبسه ملوك فارس الذهب والديباج تيمناً به « (١) .

وزيد ياقوت الحموي في بطولة وشجاعة هذا الرجل «الأصفهاني» فيروي أنه تمكن من قتل الضحاک وأزال ملكه وجعل «أفريدون» جد بني «ساسان» مكانه ، ومن يومئذ أصبح لأهل «أصفهان» الحق في حمل اللراء (٢) .

وكذلك تظهر شجاعة أهل «أصفهان» في اعتراضهم علي أمر نمرود بنقل الأحطاب إلى المكان الذي أراد أن يحرق فيه «إبراهيم» عليه السلام حيث أطاعه جميع الناس في نقل الأحطاب ماعدا أهل «أصفهان» (٣) .

أما عن نطق «أصفهان» فتتطرق بفتح الهمزة «أصفهان» أو «أصفهان» عند أكثر الناس ، بينما ينتطقها آخرون بكسر الهمزة

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ص ١٩٦ ، ج ١ ، ط دار المعارف ، ١٩٧٩ م .

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ص ٢٠٧ ، ج ١ ، ط بيروت ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

(٣) المافروخي : كتاب معاصر أصفهان ، ص ٦ .

« إصبيهان » أو « إصفيهان » ومنهم « السمعاني » ر « أبو عبيد البكري الأندلسي » (١) .

ونخلص من ذلك إلى أن « أصفهان » اسم لمكان الجند والفرسان
الدمشقيين أصلها الفارسي « سيادان » أو « سپوان » أو « اسپهان » ثم
عربت إلى « أصفهان » أو « إصبيهان » وتنطق بفتح الهمزة وفقاً للنطق
العربي لها ، وتنطق بكسر الهمزة وفقاً للنطق الفارسي لها وذلك لأن
الحرف الأول في الأصل الفارسي « سپاهان » - « سپهان » -
« اسپهان » ينطق مكسوراً .

نشأة أصفهان وتاريخها قبل الإسلام :

أصفهان هي إحدى المدن الإيرانية الكبيرة والتي عرفت وقيمت منذ
أقدم العصور ، وشهدت اسمها في جميع التواريخ حتى في الخطوط
المسامرية التي ترجع إلى الألف الثاني أو الثالث قبل الميلاد وكان
البابليون يدركون أن أصفهان تقع على الحد الشرقي ضمن الممالك
الشرقية المتاخمة لهم (٢) .

وتتكون « أصفهان » من مدينتين أحدهما تعرف بـ « اليهودية »
والثانية بـ « شهرستان » وبينهما مسافة تقدر بميلين (٣) .

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ص ٢٠٦ ، ج ١ .

(٢) حسين نور صادقي : أصفهان ، ص ١ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٦٣ ، القسم الثاني ، ط ليدن ، ١٩٣٩ .

و « اليهودية » هي تلك المدينة التي بناها اليهود أيام « بخت نصر » ، فعندما خرجوا من بيت المقدس أخذوا معهم بعضاً من ماء وتراب بيت المقدس ، وعزموا علي ألا يقيموا إلا في مكان يشابه ترابه وماؤه ماء وتراب بيت المقدس فكانوا إذا ما نزلوا بمدينة ووزنوا ماءها وترابها ، وما زالوا كذلك حتي دخلوا « أصفهان » فنزلوا بموضع منها يسمى « بنيحنا » وهي بالعبرية ومعناها انزلوا فقد أصبحت نلما وجدوا وزن الماء والطين في هذا المكان كمثليهما في بيت المقدس استقروا في هذه المنطقة وبنوا العمارات ، وتزاجوا وتوالدوا وتناسلوا وموضعهم الآن يسمى « اليهودية » ^(١) وهذا المكان علي بعد بضع كيلومترات من « شهرستان » ^(٢) .

وبرواية أخرى يقول « ابن حوقل » : « إن أصل « أصفهان » كان هناك في قديم الأيام وسالف الدهر إلي أيام « بخت نصر » وقدم اليهود من الشام ناقلة إلي هذه الناحية وكانوا قد استصحبوا من تربة بلدهم وميآههم وهربوا من ناحيتهم فقالوا نقصد موضعاً يشاكل ناحيتنا ويشبه بلدنا وتربتنا ونزلوا بالمكان المعروف اليوم بـ « اليهودية » وبالموضع الذي يعرف « باشكهان » و « أشكهان » كلمة باليهودية وقايسوا التربة والماء فقالوا بلسانهم « أشكهان » أي نقعد ها هنا ، وكان المكان في الوقت أرضاً بوراً غامرة لساكن بها فأحدثوا المنازل وتصرفوا في وجوه العمارة والفلاحة وأسباب الغروس والزراعة وسكنوا ،

(١) الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ط ليدن ، إبريل ١٣٠٢ هـ .

(٢) هارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٣٥ ، ط دار المعارف ، ترجمة حمزة الظاهر .

وكان بنواحي صايك مدينة يرتفق أهلها بمراعي هذه الناحية ويتصرفونها
ثقل عليهم ما حدث بجوارهم من الأسباب فيقال أنهم مانعهم عما
أرادوه من بعض متصرفاتهم فجرت بينهم حروب واتصلت بينهم وقائع
وشغوب وتناولت بهم المشاغبة والمواثبة إلي أن صارت الغلبة لليهود ،
وتم يثلك ما حاوله من تأسيس اليهودية وتصرف أربابهم في القروس
علي المياه واستتبطونا من مضافنا وأجروها في عماراتهم وكثرت
اصاياتهم بالزروع في الأراضى البور واقتنوا الماشية وما يضطر إليه أهل
الأمصار وقصرت فسكنها من رغب في رقاعة العيش ووغدة وتوطنها
كبار دهاقين الجاهلية وسراة تناء الإسلام وأرباب النعم « (١) .

أما « شهرستان » فهي تقع في المكان المعروف بـ « جي » (٢)
قديماً و « جي » مدينة كان قد بناها « الاسكندر » علي مجر الحية
وذلك لأنه كئما بناها مربعة أو مدورة كانت تتساقط حتي وأي حية
خرجت من جحرها فنارت حول المدينة ثم رجعت في سرعة إلي جحرها
فأمر « الاسكندر » بأن تبني المدينة علي جحرها وما زال البناء قائماً
معرجاً حتي الآن (٣) علي مثال الحية (٤) .

ويذكر « ابن شاهنشاه » أن « جي » بفتح الجيم وتشديد المثناه
من تحت اسم لمدينة « أصبهان » العتيقة وكانت تسمى « جي » ثم

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧ القسم الثاني .

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، أصبهان ، ص ٢٠٨ ، ج ١ .

(٣) الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٦٢ .

(٤) الطبري : تاريخ ، ص ٥٧٨ ، ج ١ .

ويذكر ابن الأثير : أن الحية أمرطت بأصهان ، ولكنه لم يذكر وقت اباطها ، ص ٢٧ .

سميت « شبرستان » وقد خرب أكثرها واستمرت اليهودية علي الصمارة وهي مدينة « أصبهان العظمي » (١) .

وتعد « أصفهان » واحدة من بلاد الجبل التي تعرف عند العامة بعراق العجم وتقع في نهاية الجبال من جهة الجنوب ، ومن «همدان» إلي «أصفهان» ثمانون فرسخاً ومن «أصفهان» إلي «قاشان» ثلاث مراحل (٢) ، ويجمع بين «شيراز» و«أصفهان» ثلاثة طرق مابين ورون ، وطريق اصطخر ، وطريق سميرم (٣) ، ونظراً لعظمتها وجمالها وتميزها بين الولايات عدها صاحب تاريخ بيهق (٤) ضمن أمهات الولايات فذكر أن «أصفهان» أم القرى في بغداد .

هذا عن نشأتها أما عن تاريخها قبل الإسلام فيعتبره الكثير من الصعوبات خاصة وأن هذه المدينة قد خضعت لكثير من حكام الفرس قبل الإسلام ونظراً لتدميها وكثرة الملوك الذين مروا عليها أو عمروها أو أعادوا بناءها يجد الباحث صعوبة أخري ولا سيما أن تاريخ الفرس قبل الإسلام حافل بالأحداث والحروب وتمدد الممالك ومن هنا ارتبط تاريخ «أصفهان» في هذه المرحلة بالعديد من الأحداث عبر عصر الپيشدادين و«الكيانيين» وملوك الطوائف والساسانيين ، ومن هنا يجد الباحث نفسه في بحر عميق مليء بالأحداث عن إيران قبل الإسلام وعلاقتها

(١) ابن شاهنشاه : تقويم البلدان ، ص ٤١٠ - ٤١١ ، ط باريس ، ١٨٤٠ م .

(٢) ابن شاهنشاه : تقويم البلدان ، ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

(٣) ابن البلخي : فارس نامه ، ص ١٦٠ ، ط كمبريج ، ١٣٣٩ م - ١٩٢١ م .

(٤) أبو الحسن علي بن زيد بيهقي معرف بابن فندق : تاريخ بيهق ، ص ٣٢ ، ط كاتون ،

١٣١٧ هـ .

بالشعوب المجاورة والأمم الأخرى وما ترتب علي ذلك من حروب وأحداث وإقامة ممالك وستقوط أخرى ، ثم يحاول أن يحصل من هذا الخضم علي الدرر التي تحمل في طياتها أخباراً عن « أصفهان » .

ولنحاول أن نستجمع ما يمكن من أخبار تتعلق بأصفهان في هذه الفترة ونصنفها وفق كل عصر من العصور التي عاشتها إيران قبل الإسلام .

يذكر صاحب كتاب فارس نامه ^(١) أن بناء وتعمير « أصفهان » كان في عهد الملك « طهمورث » وهو ثالث ملوك البيشدادين ، وكان قد أمر بأن تبني بها مكتبة لحفظ الكتب من الأحداث قبل حدوث الطوفان باحدي وثلاثين ومائتي سنة ^(٢) كما كان لهذا الملك أيضاً آثار عظيمة جليلة في « شهرستان » و « أصفهان » ^(٣) .

ويقال أن جمشيد رابع ملوك البيشدادين بني أصفهان في العراق العجمي ^(٤) ولكن يبدو أن بداية بنائها في عهد « طهمورث » وجاء « جمشيد » فآتم تعميرها مثلما آتم بناء المدائن . ومن الأخبار التي وردت عن « أصفهان » أن بلغها الملك « أفريدون » سادس ملوك

(١) ابن البلخي : فارس نامه ، ص ٢٨ . ٢٩ ، ط كسبريج ، ١٣٣٩ هـ - ١٩٢١ م .

(٢) البيروني : الآثار الهاتية ، ص ٢٤ ، ط المشني بغداد .

(٣) مجمل التاريخ والقصص بتصحيح ملك الشعراء بهار : ص ٣٩ ، ط طهران ،

١٣١٨ هـ

(٤) عبد الوهاب عزام : الترجمة العربية للشاهنامه ، ص ٢٤ ، ط دار الكتب المصرية ،

١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م .

البيشدادين وتبعه كاوه الحداد الأصفهاني واستطاع أن يأسر الضحاك
خامس الملوك ويقيده ويمثل به في مغارة علي جبل دماوند (١) .

وكذلك تخبرنا الشاهنامه أن طريق أصفهان كان ممراً في الحروب
التي دارت بين « نوذر » و « افراسياب » فقد أمر « نوذر » ولديه
« طوس » و « گستهم » أن يتوجها إلى فارس عن طريق أصفهان
ويأخذان معهما النساء والمال ويذهبان إلى جبل « زاوه » من جبال
« البرز » وذلك أثناء حربه مع « افراسياب » للمرة الثانية (٢) .

أما في عهد الكيانيين فقد كانت أصفهان عاصمة للدولة في عهد
« كيقباد » (٣) أول ملوكهم حيث عمرها وأعاد بناءها وبني فيها داراً
للملكة واتخذها عاصمة للكيانيين .

وتروي لنا الشاهنامه دخول « كيخسرو » (٤) أصفهان في حفاوة
وتكريم حيث زينت البلد وعقدت الأذينات في جميع نواحيها ، وتم تزيين
القصر الكبير بالدباج والحرير ، ووضع فيه التخت الذهبي المرصع
بالجواهر ، وأعدت جميع مراسم الملك من تاج وتخت وسوار وطوق ،
وخيل ، وبغال ودواب ، وخرج الأصبهذية والأمراء وعظماء إيران

(١) الفردوسي : شاهنامه ، ص ٥٨ - ٦٢ ، ج ١ « بندكردن فریدون ضحاک و ١ » ، ط

بروخیم طهران ، ١٣١٣ هـ ، مجل التواریخ والتقصص ، ص ٤١ .

(٢) الفردوسي : شاهنامه ، ص ٢٥٨ ، ج ١ « رزم افراسیاب بانوذر دکرهار » .

(٣) مجل التواریخ والتقصص ، ص ٤٥ « حمد الله مستوفي » : نزهت القلوب ، ص ٢٨ .

(٤) هو ثالث ملوك الكيانيين ، وهو ابن سیاوخش ويتسمى إلى كيقباد من ناحية أبيه ، وإلى

توران بن افریدون من ناحية أمه .

لاستقباله علي بعد ثمانين فرسخاً خارج أصفهان ، ولما رقت عيونهم عليه ترجلوا وسجدوا له إجلالاً وإكباراً ، وأقيمت مراسم الخدمة واستقبله « جودرز » ^(١) وكله فرحة تمتلئ العين بالعبرات ، وعزاه في وفاة والده « سياوخش » ودعا له بأن يطول بقاءه ، وأن يدوم مجده وسنانه وساروا في خدمته حتى دخل أصفهان ومكث أسبوعاً بها في القصر المعد له ^(٢) ثم تمكن من إحكام سلطانه علي جميع الأقاليم والمدن الإيرانية . وتوج « كيخسرو » ملكاً علي إيران ونشر عليه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت وكانت مدة ملكه ستين سنة ^(٣) .

وفي هذه الفترة تولى « جودرز » الحكم علي ولاية أصفهان من قبل الملك « كيخسرو » الذي منحه الولاية وأعطاه تاجاً عظيماً ، وتختاً كبيراً مكافأة له ، وذلك لأن « جودرز » كان ممن ساعدوا « كيخسرو » علي تولي الملك ، وتصدي معه للأعداء التورانيين في كثير من المعارك والحروب حتى رغبوا في الأمان فأرسلوا رسولاً من قبلهم إلي « كيخسرو » يعتذرون عما بدر منهم من إساءة ، ويطلبون الأمان

(١) هو جودرز كشواذ صاحب الرويا التي بشرت بقدم ملك إلي إيران يدعي « كيخسرو » ويأثر لأبيه « سياوخش » ويسع ملكه بلاد الترك . وكان « جودرز » قد حكم لابنه « جيو » هذه الرويا وطلب منه أن يذهب إلي بلاد الترك بحثاً عن وارث الملك « كيخسرو » فقبل أمر أبيه بالسمع والطاعة .

انظر : فردوسي : شاهنامه ، ص ٧١٠ - ٧١٢ ، ج ٣ (دين جودرز كيخسرو والنحواب).

(٢) فردوسي : شاهنامه ، ص ٧٤٤ - ٧٤٦ ، ج ٣ ، ط بروخيم - تهران ، ١٣١٣ هـ .

(٣) فردوسي : شاهنامه ، ص ٧٦٣ - ٧٦٤ ، ج ٣ .

والصلح فمَنحهم الملك ما سَحوا إليه ، وأَعطاهم العَهدَ بِذلك ، فعَندما كانَ الملك « كِيخسرو » القادة والجندَ ومَنحهم الخلعَ والهباتَ والعطايا كانت مَكانة « جودرز » « كودرز » سلطنة أَصفهان والتاجَ العَظيمَ والتختَ الكَبيرَ (١) .

وفي أواخرَ عَهدِ الملك « كِيخسرو » زهدَ الملكَ وانجاءَ والسلطةَ فَمَزَمَ عليَ توزيعَ أمواله وممتلكاته عليَ الإيرانيين ، وقررَ تقسيمَ الممالك والأقاليمَ عليَ أوليَ السلطةِ في دولته وطلبَ من « جودرز بن كَشُواذ » أن ينفقَ أمواله ويوزعَ كنوزَه عليَ الأيتامِ والأراملِ ثم طلبَ منه أن يَعمُرَ الممالك ، ويعملَ عليَ تنفيذِ هذهِ الوصيةِ (٢) .

وعَندما عزمَ الملكَ عليَ تقسيمِ ممالكه عرضَ عليَ قادتهِ وكبارِ رجاله أن يطلبوا ماشاءوا فقام « جودرز » وعرضَ عليَ الملكِ « كِيخسرو » جهودَ ولده « جيو » « كيو » في بلادِ التُركِ وحسنَ صَنيعَه حتَّى عادَ إليَ إيرانَ وشَهرتهِ بالخدمةِ والطاعةِ وأَظهرَ أملهَ في أن تشملَه رعايةُ وعنايةُ الملكِ ، فأبديَ « كِيخسرو » ارتياحَه لهذاَ العرضِ وأخذَ يَذكرُ ما قامَ به « كيو » من أعمالٍ عَظيمةٍ وكثيرةٍ ، وأمرَ بأن يحطِّي « كيو » عَهدَ قمِ وأصفهانِ مكافأةً له ، وكتبَ بِذلكَ منشوراً معطراً بالمسكِ والعنبرِ إليَ العَظماءِ والأقاليمِ الكَبيِرةِ (٣) .

(١) فردوسي : شاهنامه ، ص ١٢٦٦ - ١٢٦٧ ، ج ٥ ، طبروزيم - تهران ، ١٣١٤ هـ .

(٢) فردوسي : شاهنامه ، ص ١٤٢٦ ، ج ٥ .

(٣) فردوسي : شاهنامه ، ص ١٤٢٩ - ١٤٣٠ ، ج ٥ .

ووقتضي هذا العهد أصبح « كير » حاكماً علي أصفهان في ذلك العصر .

وما زالت أصفهان مقراً للملك والسلطان ، ومن المدن العظيمة التي تحظي بالبناء والعمران ^(١) لدي سائر الملوك الكيانيين حتي عصر آخر ملوكهم « دار بن بوحن بن سفنديار » الذي التقى مع « الاسكندر » في ثلاث حواقيح حربية لحقت فيها الهزيمة « دارا » وجيوشه ، مما جعله يضطر إلي كتابة رسالة « للاسكندر » يطلب فيها الصلح ، ولكن رجال « دارا » غدروا به عندما تأكدوا من ضياع ملكه وسيطرة « الاسكندر » وجيوشه ، فبادر وزيراه باغتياله تقريباً إلي « الاسكندر » ، وأسرعوا إلي إبلاغه بما حدث ، فانتقل « الاسكندر » إلي مكان الحادث للتأكد من حقيقة الأمر فوجد « دارا » مازال علي قيد الحياة يلتقط أنفاسه الأخيرة في مرتع مصرعه فأمر « الاسكندر » بالتحفظ علي مغاليه ، وتأثر لحالة « دارا » تأثراً شديداً حتي ملأت الدموع عينيه ، وقرني أن يشفي ويتولي عرشه وسلطانه علي كل ممالكه مرة ثانية فسعد « دارا » بهذا القول ولكنه كان يلفظ أنفاسه الأخيرة فأوصي « الاسكندر » أن يحسن رعاية الشعب الإيراني ، وإلي أولاده ونسائه وآل بيته ، وطلب منه أن يتزوج بـ « روشك » ابنته لعلها تنجب ولداً يسمي « سفنديار » يدين بالديانة الزرادشتية أو يقيم الأعياد الفارسية « النوروز » والمهرجان ، وفارق « دارا » الحياة ، وصارت الأقاليم والممالك الإيرانية تحت سيطرة « الاسكندر » الذي كان خصماً شريفاً وقيماً « لدارا » حيث أمر

(١) ابن البلخي : فارس نامه ، ص ١٢٠ .

بأن ينصب له تختاً من الذهب ، ويكفن في الوشي والحرير ، ويطيب بالكافور ، وتشر عليه الورود ويوضح في تابوت من الذهب ، وتقام له طقوس الدفن وفق مناسك المعتقدات اليونانية (١) .

وبعد ذلك أرسل « الاسكندر » رسالة إلي عظماء إيران مع رجاله الذين جاءوا أصفهان ونفذوا أوامره بتبليغ السلام والتحية إلي أسرة « دارا » وكبار رجال إيران ، وأخبروهم بوفاة « دارا » وحرص « الاسكندر » علي تنفيذ الوصية برعاية أولاده وزوجته وأقربائه والشعب الإيراني (٢) .

وهكذا تخرج أصفهان من سلطان الإيرانيين وتخضع لنفوذ اليونانيين في حياة يملؤها الرضا بحكم « الاسكندر » والإذعان له بالطاعة والولاء ، وجلس « الاسكندر » علي عرش إيران سلطاناً علي ممالكها نحو أربعة عشر عاماً ، وفي هذه الفترة شهدت أصفهان عصراً جديداً يتسم بالتطورات في الحياة الاجتماعية ، والانشاءات العمرانية، وتتلاءم مع ما طرأ علي إيران من تغيرات سياسية .

فقد سعي « الاسكندر » إلي تنفيذ وصية « دارا » فأرسل كتاباً إلي أصفهان يعزي فيه زوجة الملك ، ويؤكد فيه علي وصية « دارا » إليه بأن يتزوج من « روشنك » نطلب تجميلها وإرسالها إلي اصطخر مع

(١) فردوسي : شاهنامه ، ص ١٨٠٣ - ١٨٠٤ ، ج ٦ .

(٢) فردوسي : شاهنامه ، ص ١٨٠٤ - ١٨٠٥ ، ج ٦ .

مريد أصفهان ، وكذلك أرسل كتاباً آخر إلي العروس « روشنك » يعزيها ويخبرها بوضعية والدها بإتمام الزواج (١) .

هذا وقد وصل كتاب إلي « الاسكندر » فيه رد زوجة « دارا » ويتضمن موافقتها علي زواج ابنتها « روشنك » وولاءها « للاسكندر » بالطاعة ودعاءها له بدوام ملكه ، وكذلك وردت أخبار سارة إلي « الاسكندر » مع الفيلسوف - حامل الرسالة - عن العروس وماتمتع به من حسن جمالها ، وروعة بهائها ، وعلو قدرها وعظيم شأنها (٢) .

وكان لهذه الأخبار السارة عظيم الأثر علي « الاسكندر » فاستدعي أمه من « عمورية » وأرسلها إلي أصفهان في موكب عظيم يصحبها فيه عشرة فلاسفة من المترجمين وتحمل الطوق والسوار والتاج المرصع بالجواهر النفيس ، وتتبعها الأحمال بالخيرات الوفيرة منها مائة جمل محملة بالشباب المطرزة ، وعشرة جمال محملة بالحرير الرومي ، وثلاثين ألف دينار من النثار ، وثلاثمائة جارية رومية .

وعندما اقترب موكب أم « الاسكندر » من أصفهان خرجت زوجة « دارا » مع كبار رجال أصفهان وعظيم علمائها ثم نزلت في الايوان حتي صحبت العروس وجهازها وأحمالها إلي اصطخر حيث يقيم ابنها « الاسكندر » ، وكان لهذا الزواج أثر كبير في نفوس الإيرانيين فعملوا علي الطاعة والإخلاص « للاسكندر » (٣) ويذكر صاحب مجمل

(١) فردوسي : شاهنامه ، ص ١٨١٠ - ١٨١٢ ، ج ٧ - ط بهوخيم - تهران ، ١٣١٤ هـ .

(٢) فردوسي : شاهنامه ، ص ١٨١٢ - ١٨١٣ ، ج ٧ .

(٣) فردوسي : شاهنامه ، ص ١٨١٣ - ١٨١٥ ، ج ٧ .

التواريخ^(١) والقصص أن « الاسكندر » بني مدينة « شهرستان » في أصفهان .

وبعد عهد « الاسكندر » أصبحت إيران في أيدي ملوك الطوائف الذين حكموا إيران مائتي سنة ، وكان يطلق عليهم « الاشكانيون »^(٢) وظلت أصفهان متداولة بين هؤلاء الملوك حتى صارت ملكاً « لبهرام » الذي كان يطلق عليه « أردوان الأعظم »^(٣) .

أما في العصر الساساني أصبحت أصفهان ولاية تابعة للملك آل ساسان وتحمل منها الدنانير ، ويذكر « الفردوسي » أن « بهرام بن يزدجرد » المعروف « ببهرام جور » كان يأمر بحمل الدنانير إليه من الري وأصفهان^(٤) .

وعندما جلس علي عرش إيران « كسري أنوشروان » قسم المملكة إلي أربعة أقسام الأول خراسان ، والثاني أصفهان والثالث فارس والأهواز ، والرابع العراق والروم وبذلك صارت أصفهان مولد العظماء ومنشأ الملوك تمثل قسماً من أقسام المملكة الإيرانية يخضع لتنفيذ « كسري أنوشروان »^(٥) .

(١) مجمل التواريخ والقصص ، ص ٥٧ .

(٢) فردوسي : شاهنامه ، ص ١٩٢٢ ، ج ٧ .

(٣) فردوسي : شاهنامه ، ص ١٩٢٣ ، ج ٧ .

(٤) فردوسي : شاهنامه ، ص ٢١٩٤ ، ج ٧ .

(٥) فردوسي : شاهنامه ، ص ٢٣١٤ - ٢٣١٥ ، ج ٨ .

ونظراً لجمال أصفهان كان ملوك الفرس يفضلونها علي سائر بلدان
مملكتهم لما تتميز به من طيب هوائها ، وعذوبة مائها ، ونسيم
تريتها^(١).

ويذكر الفردوسي أن « هرمزد بن كسري أنو شروان » كان يتنضي
ثلاثة أشهر الحريف فيها ليستمتع بهوائها الجميل ، وأماكنها
العظيمة^(٢).

وكان الملوك يؤثرون أهل أصفهان لخدمتهم لما عرف عنهم من
شجاعة وبأس فيروي أن « أردشير بن بابكان » لم يستطع أن ينتصر
علي ملوك الأرض إلا بنجدة أهل أصفهان له^(٣).

وكان « أنو شروان » يفضل جند أصفهان علي جند الأرض
أجمعين^(٤).

ويذكر أنه في عهد « كسري أبرويز » كان في جملة خدمته
ثلاثمائة وثلاث وسبعين رجلاً منهم مائتان وثلاثون رجلاً أصفهانياً ، ولم
يؤهل لحفظ الراية « درفش كاويان » سوى أهل أصفهان^(٥).

(١) أبو نعيم : ذكر أخبار أصفهان ، ص ٣٤ .

(٢) فردوسي : شاهنامه ، ص ٥٧٩ ، ج ٨ .

(٣) المافروزي : محاسن أصفهان ، ص ٤١ .

(٤) المافروزي : محاسن أصفهان ، ص ٤٢ .

(٥) المافروزي : ص ٤٠ .

وكان « أبرويز » يقول : « لا يتم أمرنا إلا بمعونة أهل أصفهان »^(١).

وعلي أية حال ظلت أصفهان إقليمياً خاضعاً لملوك « آل ساسان » إلى أن فتحها المسلمون في عهد أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » - رضي الله عنه - .

أصفهان ولاية إسلامية :

لا خلاف في أن فتح المسلمين لأصفهان كان في خلافة أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه ، ولكن الاختلاف بين المؤرخين حول تاريخ دخول المسلمين أصفهان وفتحهم لها . فإن مدرسة الكوفة التاريخية ترى أنها فتحت عام ١٩ هـ التاسع عشر الهجري ، عندما اتجه عبد الله بن عتبان إلى « جي » وكان يحكمها « پاذوسپان » أحد حكام الدولة الفارسية وبعد عدة وقائع حربية اضطر حاكمها إلى التسليم راضياً يدفع الخراج^(٢) .

ويذكر الطبري أنها فتحت في العام ٢١ هـ الحادي والعشرين من الهجرة ، بعد موافقة « عبد الله » علي مبارزة « الفاذوسفان » حاكم أصفهان ثم دخل « عبد الله » و « أبي موسى » « جي » مدينة أصفهان وكتب بذلك إلى أمير المؤمنين فاستخلف عليها السائب بن الأقرع^(٣) .

(١) المافروخي : ص ٤٢ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : مادة أصفهان ، ص ٤٧١ . ج ٣ . ط الشعب

(٣) الطبري : تاريخ : حوادث ، ٢١ هـ ، ص ١٤٠ ، ١٤١ . ج ٤ .

وهذا وتري مدرسة ^(١) البصرة أن فتحها كان علي يد « أبي موسى الأشعري » وعبد الله بن بديل في بعض سنة ٢٣ هـ و ٢٤ هـ .
ويذكر « أبو نعيم » أن فتحها كان آخر سنة عشرين وقيل إحدى وعشرين من الهجرة ^(٢) .

- ويبدو أن السبب في هذا الاختلاف يرجع إلي كثرة الأحداث قبل أن يتم الفتح لأصفهان وكان المؤرخين خلطوا بين بداية توجه المسلمين إلي أصفهان وبين إتمام فتح أصفهان ولعل أرجح هذه الآراء هو ما ذهب إليه « الطبري » وهو أن فتح أصفهان تم في عام ٢١ هـ ، وذلك لأن تسلسل الأحداث التاريخية في الفتح الإسلامية يجعل ذلك أقرب إلي الواقع .
وعلي أية حال أصبحت أصفهان ولاية إسلامية بعد أن فتحت صلحاً علي أن يؤدي أهلها الخراج والجزية ، وصارت خاضعة لأحكام الخلافة الإسلامية في عهد « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه .

وجاء في كتاب صلح أصفهان : « بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من عبد الله للفساد وسفان وأهل أصفهان وحواليها انكم آمنون ما أديتم الجزية وعليكم من الجزية علي قدر طاقتكم علي كل سنة تؤدونها إلي الذي يلي بلادكم علي كل حال ودلالة المسلم وإصلاح طريقة وقراه يومه

(١) الهمداني : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٦١ ، ط ليدن ، ١٣٠٢ هـ .
البلادري : فتوح البلدان ، ص ٣٢١ ، ط شركة طبع الكتب العربية ، ١٣١٧ هـ - ١٩٠٠ م .

(٢) أبو نعيم الأصفهاني : ذكر أخبار أصفهان ، ص ١٧ ، ج ١ .
(٣) أبو نعيم : ذكر أخبار أصفهان ، ص ٢٦ ، ط ليدن ، ١٩٣١ م .

وعادت لقوحا أصبهان بأسرها تدر لنا منها القري والدرهم
واني علي عمد قبلت جزاءهم غداة تفادوا والفجاج قوام
ليزكو لنا عند الحروب جهادنا إذا انتطحت في النخلتين الهامم^(١)

ويتضح في هذه الأبيات اعتزاز « عبد الله » ، وفخره بهذا الفوز العظيم الذي حققه جيش المسلمين تحت قيادته ، مشيراً إلي المباراة الشهيرة التي كانت بينه وبين « الفاذوسفان » حاكم أصفهان في ذلك الوقت ، والتي هزم فيها « الفاذوسفان » وكان من نتائجها قبول دفع الجزية ، وفتح أصفهان صلحاً .

وقد جعل أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » « السائب بن الأقرع » والياً علي أصفهان وظل في منصبه هذا حتى عهد « عثمان بن عفان »^(٢) - رضی الله عنهما - ثم أخذ يليها الولاية من قبل الخلفاء .

ففي عهد « علي بن أبي طالب » - كرم الله وجهه - وليها « يزيد بن قيس »^(٣) ثم جاء بعده « عمر بن سلمة »^(٤) والياً عليها .

وكان مسجد خشينان - الذي بناه « أبو خناس » مولی « عمر ابن الخطاب » - أول مسجد كبير يبني بأصفهان في خلافة « علي بن أبي طالب » - رضی الله عنهما -^(٥) .

-
- (١) أبو نعیم : ذکر أخبار أصفهان ، ص ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) ابن الأثیر : الكامل في التاريخ : ص ١٤٧ ، ج ٣ ، حوادث سنة ٣٤ هـ - ط بيروت ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
(٣) ابن الأثیر : الكامل في التاريخ ، ص ٣٢٨ ، ج ٣ ، حوادث سنة ٣٧ هـ .
(٤) نفس المصدر : ص ٣٩٩ ، ج ٣ ، حوادث سنة ٤٠ هـ .
(٥) أبو نعیم الأصفهاني : ذکر أخبار من أصفهان ، ص ١٧ ، ج ١ .

وليلته وحملان الراجل إلي مرحلة ولا تسلطوا علي مسلم وللمسلمين
 نصحكم وأداء ماعليكم ولكم الأمان ما فعلتم فإذا غيرتم شيئاً أو غيره
 مغير منكم لم تسلموه فلا أمان لكم ومن سب مسلماً بلغ منه فإن ضربه
 قتلناه وكتب وشهد عبد الله بن قيس ، وعبد الله بن ورقاء وعصمة بن
 عبد الله « (١) . وقال عبد الله في فتح أصفهان :

ألم تسمع وقد أودي ذمياً ما بمنعرج السراة من أصبهان
 عميد القوم إذا ساروا إلينا بشيخ غير مسترضي العنان
 فسا جلني وكنت به كفيلاً فلم يثبت وخر علي الجران
 برستاق له يدعي إليه طوال الدهر في عقب الزمان
 نزلت به وقد شرقت ذيولي بمعضلة من الحرب العوان
 وكنت زعيمها حتي تراخت ولم يعني بها أحد مكاني (٢)
 وقال أيضاً في يوم « جي » :

من مبلغ الأحياء عني فاني نزلت علي جي وفيها تفاقم
 حصرناهم حتي سروا ثمت انتزوا فصدهم عنا القنا والقواصم
 وجاد لها الفاذوسفان بنفسه وقد دهدهت بين الصفوف الجماجم
 فبارزته حتي إذا ما علوته تفادي وقد صارت إلينا الخزائم

(١) أبو نعيم : ذكر أخبار أصفهان ، ص ٢٦ ، طليدن . ١٩٣١ م .

(٢) نفس المصدر : نفس الصفحة .

ويعتبر « سعد بن اياس » أول من كتب بالعربية في ديوان أصفهان، وأول من علم الناس القرآن من أهل أصفهان ويقال : «إنه استقر المسلمون بها فلم يجد إلا ثمانين رجلاً لم يكن فيهم ممن يحفظ القرآن إلا ثلاثة فلم يحل الحول حتي تعلم عامة الناس القرآن وحفظوه»^(١).

وفي أيام الخليفة « مروان بن الحكم » تولى « الهذيل بن قيس العنبري » أصفهان ، ومنذ ذلك الوقت صار العنبريون ولاية عليها^(٢).

وكانت أصفهان مطعماً للولاية في عهد « عبد الملك بن مروان » حتي أن كل من كاتبه رغب في إمرة أصفهان حتي قال الخليفة « أي شيء هذه أصفهان حتي كلهم يطلبها »^(٣) . ولم يف لأحد شرط عليه ذلك^(٤).

وكان « عتاب بن ورقاء » ممن حظوا بولاية أصفهان في عهد « عبد الملك بن مروان »^(٥) .

(١) ابن رسته : الأعلام النفيسة ، ص ١٩٧ ، ط ليدن ، ابريل ١٨٩١ م .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٢١ .

(٣) ابن الأثير : تاريخ : ص ٢٢٥ ، ج ٤ ، حوادث سنة ٧١ هـ .

(٤) ابن الأثير : تاريخ : ص ٣٣١ ، ج ٤ ، حوادث سنة ٧١ هـ .

(٥) الجاحظ : البيان والتبيين ، ص ٣٢٦ ، ج ١ ، الخانجي بمصر والشني بغداد .

ويذكر أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان يعني بتولية حاكم أصفهان في هذه الفترة حيث كان البراءة بن قبيصة عاملاً علي أصفهان من قبل الحجاج (١) .

ويخبرنا صاحب فارس نامه (٢) أن الحجاج كان قد أرسل «محمد ابن يوسف» والياً علي شيراز و أصفهان .

وفي أيام « هشام بن عبد الملك » نزل « أبو دلف القاسم بن عيسى بن ادريس » الكرج وسيطر عليها وبنى حصناً قوياً فيها ، ولما ازداد نفوذه وعظم شأنه عند الخليفة كبر هذا الحصن وزاد فيه وسماه «الكرج» فقبل كرج أبي دلف ، وصارت الكرج مصراً من الأمصار وكانت فيما سبق رستاقاً تابعاً لأصفهان ، فأصبحت اليوم منفصلة بذاتها وتسمي «الإيغارين» (٣) .

وهكذا استمرت « أصفهان » ولاية إسلامية تخضع لسultan الخلفاء ضمن الأقاليم الفارسية التي خضعت للخلافة الإسلامية في بغداد قرابة ثلاثة قرون ، وصار تاريخ أصفهان توأماً لتاريخ بغداد (٤) .

وفي هذه الفترة شهدت أصفهان تطورات كبيرة بعضها يتعلق بالعمران والبناء وبعضها يرتبط بسياسة الدولة الإسلامية ، وهي في

(١) الطبري : تاريخ : ص ٢٩٤ ، ج ٦ حوادث سنة ٧٧ هـ .

ابن الأثير : تاريخ ك ص ٤٣٥ ، ج ٤ ، حوادث سنة ٧٧ هـ .

(٢) ابن البلخي : فارس نامه ، ص ١٣٢ .

(٣) الهملاني : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٦١ .

(٤) أصفهان : حسين نورصادق ، ص ٦ .

أوج قوتها وازدهارها ، أو في عصر ضعفها وانحلالها ، وما يترتب علي ذلك من أحداث .

فقد كان العرب في زمن العجليين من قبيلة تيم قد سكنوا أطراف أصفهان ، وتولوا الرئاسة والسلطة عليها ، وشيدوا الأحياء والمباني .

وفي الوقت الذي قرر فيه مرداويج التوجه إلي أصفهان ، بني « آل أبي دلف » العمارات العالية والقصور علي غرار مثيلاتها في الكرج خارج مدينتهم من بقاع أصفهان ، وبذلك اتسعت مدينة أصفهان ، ويذكر المؤرخون أنه اتسع ملكها بحيث كان في شمالها كاشان وقم وجزء من أصفهان وتنتهي في الري ، وضمت من جهة الغرب « الكرج » و « جايلق » و « بربرود » وتنتهي « بهمدان » ، ومن الجنوب كانت « ايزدخواست » جزءاً منها وتنتهي بفارس ، أما من ناحية الشرق فكانت تنتهي ببزد التي هي جزء من فارس ^(١) . وفي سنة ١٥٢ هـ كان الخليفة العباسي « أبو جعفر المنصور » قد أصابه مرض ، ولم يكن جو بغداد وهواؤها مناسباً له ، فجمع حكماء عصره ووزراء مملكته وطلب منهم أن يبحثوا له عن مكان أصح من بغداد هواء ، وأعذب ماء كي يشيدوا فيه بناء ينتقل إليه ويعيش فيه ، فتفاوضوا وأجمعوا علي بناء قصر للخليفة بجوار « زندروز » ^(٢) . وأن يبني سور حول أصفهان

(١) حسين صادقي : أصفهان ، ص ٦ ، ٧ .

(٢) « زندروز » : اسم نهر عظيم يجري بأصفهان ، ويقال له بالفارسية « زرينه رود » أي نهر الذهب ، و « زنده رود » النهر العظيم فعربوا الأولي وقالوا « زندروز » والثانية فقالوا « زندروز » ، وكيل « زندروز » معرب « زنده رود » أي النهر الحي ووجه التسمية =

فأمر الخليفة بمخاطبة « أيوب بن زيار » عامله علي أصفهان بتنفيذ ذلك، فشيّد قصرًا وبنى مسجدًا ولكن الخليفة عدل عن هذه الفكرة عندما تحسنت صحته في الوقت الذي أوشك فيه « أيوب » من إتمام البناء^(١).

وفي خلافة المنتصم دخل كثير من أهل أصفهان في دين الخرمية ضمن أهل الجبل وهمذان وماسبذان وغيرها ، وعسكروا في همذان فأرسل إليهم الخليفة جنوداً بقيادة « اسحاق بن ابراهيم بن مصعب » فأوقع بهم في أعمال همذان ، وقتل منهم ستين ألفاً ، وفر الباقيون إلي الروم^(٢).

وفي هذه الفترة اتسمت أصفهان حيث أضيف إليها خمس عشرة قرية ، وأعيد بناء المسجد في سنة ست وعشرين ومائتين^(٣).

وبذلك أخذت أصفهان تزداد اتساعاً ، وعمراناً حتي كثرت رسايتها^(٤)، بحيث اختلف المؤرخون في عددها .

= مختلفة أما علي الأولى وهي « زرينه رود » لأن أهالي أصفهان يزعمون بمائه الفلات ويبيعونها في سائر البلاد ويأخذون الذهب عوضاً لمحصولاتهم وكان « زرينه رود » يعطيهم الذهب وعلي الثانية لأنه نهر عظيم ، وعلي الثالثة لأنه لا ينقطع أبداً بل يجري في أيام السنة فكانه حي ، ولزنده في اللغة الفارسية معنيان : الحي والعظيم ، ويقول بعضهم ان اسمه « زابنده رود » أي النهر التابع لأن ماءه ينبع .

(١) المافروخي الأصفهاني : كتاب محاسن أصفهان ، ص ٨ ، ٩ .

(٢) ابن الأثير : تاريخ ، ص ٤٤٦ ، ج ٦ ، حوادث سنة ٢١٨ هـ .

(٣) المافروخي : محاسن أصفهان ، ص ٨٤ .

أبو نعيم : ذكر أخبار أصفهان ، ص ١٧ .

(٤) رساتيق : جمع « رستاق » والرستاق هو « الرزداق » و « الرسداق » و « الرزداق » وهو لفظ فارسي معرب يعني السواد وموضع فيه مزدوع ، وقرى أو بيوت مجتمعة .

(انظر : الجواليقي) : المعرب ، ص ٢٠٦ ، ط دار الكتب ، ١٢٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

فصاحب معجم البلدان يذكر أن أصفهان تشتمل علي ستة عشر رستاقاً (١) . بينما يذكر ابن خرداذبه والهملاني أن عدد رساتيق أصفهان سبعة عشر رستاقاً (٢) . أما « ابن رسته » فيخالف ذلك ويذكر أن عدد رساتيق أصفهان يبلغ عشرين رستاقاً وهي : « جي » وهو القصبة وبه مدينتها وأسواقها ومجمع أهلها ومعانيه التي يفضل بها علي سائر الرساتيق كثيرة أولها أن الذي جعله القصبة ، وبني به مدينته وهو يملك البلد كله لم يفعل ذلك إلا وهو أصح المواضع التي به تربة وأطيبها هواء وأعذبها ماء واجمعها للخلال التي يصلح بها لأن يكون مسكن الملوك والرعية .

والآخر « ماريين » وهو متصل برستاق « جي » ومن طيبه ونزهته أن بعض الأكاسرة القدماء ويقال أنه كيتابروس اجتاز به واستطابه وأمر فبني له علي قبة فيه تطل علي وادي الزرينود تلة منيعة عظيمة الشأن إذا علاها الرجل أشرف علي جميع الرستاق فلما ملك « بيمن بن اسفنديار » قد كان الدهر عمل في القلعة وأحرقها فبني دونها حصناً نصب فيه بيت نار رهباني إلي هذا الوقت والنار أيضاً باقية فيه .

ومنها « الأتجان » وهو أوسمها رقعة وأكثرها نزهة وأغزرها ماء وأزكاها هواء وأكثرها أشجاراً وأطيبها ثماراً وبه كان يسكن أكثر

(١) باقوت الحموي : معجم البلدان ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ج ١ .

(٢) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ١٧٦ - الهملاني : مختصر كتاب الهمدان .

الأشراف الذين كانوا ينزلون الأطراف ومنازلهم به قائمة وآثارهم باقية وهي علي جلالتهم وسعة نعمتهم دالة .

ومنها « برآن » و « طرح الروذ » و « رويدشت » و به يصل البسط التي لا ترتفع عن فرشها واستعمالها الرؤساء والأجلة ولا تستكثر للأوساط والسوقة مشهور في الأناق حسنها وجودة صنعها وبقائها وان استعملت مع الأرسني الفاخر من الفرس حسنت معه وإن بسطت وحدها اجتزي بها وكان يعمل به الستر المرتفعة التي تفوق الموصلية والواسطية حسناً وجودة بقاء .

ومنها « اردستان » في ضياعها ضيعة يقال لها اردستان وباسمها سمي الرستاق لجلالته ونفاستها وبها كان مولد « كسري أنو شروان » ومنها حمل إلي دار الملكة فملك وكان يختلف معه إلي كتابة ثمانين صبياً من أهل هذه القرية فلما ملك حملهم إلي حضرته ووصلهم وأكرمهم وأمر تبني لكل واحد منهم قصر يسكنه علي ضن الملوك كان في ذلك العصر بإطلاق البنائات الفاخرة إلا لمن يستحق ذلك بحال من أحواله ثم إذا أطلق لم يجسر البائي علي تجاوز المقدار الذي حدد له الطول والعرض والارتفاع وتلك القصور باقية إلي هذا الوقت يفتخر بها أعقابهم .

ومنها « برزاوند » و « برخوار » و « جرمقاسان » و « صردقاسان » و « الران » و « الثيمرة الكبرى » و « الثيمرة الصغرى » و « الخيز من انار » و « الران » و « فريدين » و « كروان » و « قهستان » و « القمدان » .

ويشتمل كل رستاق علي ضياع كثيرة يزيد جملة جميعها علي ألفين وثلاثمائة قرية .

وليس هناك وصف أبلغ من وصف المافروخي لهذه الرساتيق في قوله : « أكثر هذه الرساتيق ضياع وصحار فاهقة الأنهار ، وأيثة الأشجار ، كثيرة الثمار متكاملة الدخل ، متكافئة الأهل لايعدم المضطرب في سعت منها غصناً أملوداً ، وظلاً ممدوداً ومقاماً مشهوداً ، وأرضاً مفروشة من السندس والاستيرق بضروب من المنور والمورق قد أوسعت تغشية وتفنيقاً وتوشية وتنميقاً ، تحاكي بترابها العبيد ، وتباري بحصبائها اللؤلؤ النثير ، وتشاكه بأنورها الديباج والحريز ، كأنها غارت علي الغواني فانتبهت من خزائنهن الأسقاط ، وقطعت من ترابيهن الأسماط ، وأغارت علي الزازين فابتزتهم علائق التخوت وتفانس الدستوت تشم نسيماً معطراً ، وتجلو بسيطاً محبراً^(١) .

وكان لأصفهان سور فيه مائة برج ، وأربعة أبواب في أربعة مواضع من السور أحدها باب خور وتفسير خور « الشمس » وباب ماه وتفسيره ماه « القمر » ويسمي هذا الباب باب أسفيس ، والباب الثالث تيريره ومعناه باب عطار د ، وهو المعروف بباب تيره ، والباب الرابع باب كوش بر وهو المعروف بباب اليهودية .

وصنعت هذه الأبواب بدقة هندسية بحيث « إذا حلت الشمس درجة من الجدي تطلع في باب خوره وتغرب في باب اليهودية ، وإذا

(١) المافروخي : محاسن أصفهان ، ص ٤٩ .

حلت الشمس أول درجة من السرطان طلعت في باب أسفيس وتغرب في تيره» (١) .

وفي سنة ٢٣٥ هـ عقد الخليفة المتوكل البيعة لنيه بولاية العهد وكانت أصفهان ضمن إقطاعات ابنه « محمد » الملقب « المنتصر بالله » (٢) .

ونظراً لوفرة خيرات ضياع أصفهان اشتد الصراع حولها مما أدي إلي مقتل الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧ هـ ، وذلك لأنه « أمر بإنشاء الكتب بقبض ضياع وصيف بأصفهان والجبل وإقطاعها الفتح بن خاقان » (٣) .

أصفهان في عصر الدويلات :

ومع ضعف الخلافة العباسية وازدياد نفوذ العنصرية الإيرانية ، وظهور شخصيات أعجمية فارسية أو تركية تسعى لبسط نفوذها علي الولايات الإيرانية وتشجع علي إحياء القومية الفارسية ، ظهرت بعض الدويلات كالدولة الطاهرية والصفارية والسامانية والزيارية والبويهية والغزنوية والسلجوقية أثبتت وجودها علي الساحة السياسية ، وفرضت سيطرتها علي الأقاليم الفارسية واستطاعت أن تقوض نفوذ الخلافة العباسية ، وتسهم وتشجع علي إحياء القومية الإيرانية .

(١) ابن نعيم الأصفهاني : ذكر أخبار أصفهان ، ص ١٥ .

ابن رسته : الأعلان النفسية ، ص ١٩٠ .

(٢) ابن الأثير : تاريخ : ص ٤٩ ، ج ٧ ، حوادث ، سنة ٢٣٥ هـ .

(٣) الطبري : تاريخ : ص ٢٢٢ ، ج ٩ ، حوادث ، سنة ٢٤٧ هـ .

كما أسفر عن ظهور شخصيات قوية لها طموحات ومطامع سياسية أخذت تساند هذا التيار القومي ، وتدخل في غمار الصراع الدائر من أجل السلطة ، وفرض السيطرة على الأقاليم والولايات الإيرانية التي تخضع للخلافة العباسية .

ولما كانت أصفهان واحدة من المدن الفارسية العريقة التي شهدت أحداثاً جساماً قبل وبعد الإسلام كان لا بد أن تعثر بها يد هذا الصراع في عصر الدويلات الإيرانية .

وكان « طاهر ذو اليمينين » أول هذه الشخصيات الإيرانية التي حاولت الاستقلال فبعد أن كان قائداً لجيش الخليفة المأمون أصبح حاكماً على خراسان ، ثم اتخذ نيسابور عاصمةً لملكه ثم أصبح هذا المنصب وراثياً لابنيه وحفيده وابن حفيده ، وعرف حكام هذه الدولة باسم الطاهريين وحكموا (١٩٥ - ٢٦٠ هـ) (١) .

وكانت شخصية « يعقوب بن الليث الصفاري » هي الشخصية القوية التالية التي ظهرت في إيران ، وكان ذا طموح عال فبعد أن كان نحاساً وقاطعاً من قطاع الطرق أصبح والياً على خراسان من قبل الطاهريين ولكنه سرعان ما أسقط دولتهم ، وبسط نفوذه على كرمان وفارس وأصفهان ، ولم يقنع بذلك بل حاول دخول بغداد ولكنه فشل ، وتوفي « ٢٦٥ هـ » (٢) .

(١) دونالد ولبر : إيران ماضيها وحاضرها : الترجمة العربية : عبد النعيم حسنين - إبراهيم الشواربي ، ص ٥١ ، ط القاهرة ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م .

(٢) ابن الأثير : تاريخ ، ص ٣٢٥ ، ج ٧ ، حرادث ، سنة ٢٦٥ هـ .

ولما مات « يعقوب » أسرع أخوه عمرو بن ليث بإظهاره الطاعة والولاء للخليفة الموفق فحول إليه إمارة خراسان وفارس وأصفهان وسيستان والسند وكرمان (١) .

وبذلك أصبحت أصفهان ضمن الولايات التابعة لسلطانه نفوض حكمها إلي « أحمد بن عبد العزيز » (٢) .

وفي سنة ٣١٦ هـ انتقلت أصفهان إلي حكم آل زيار وذلك بعد أن دخل « مردايج بن زيار » في حرب مع حاكمها « المظفر بن ياقوت » من قبل الخليفة العباسي « المعتذر بالله » - واستطاع « مردايج » أن يقهر « المظفر » ، ويستولي علي أصفهان .

وسار « مردايج » سيرة سيئة مع أهل أصفهان حيث أخذ أموالهم وهتك محارمهم وطغى واستكبر وبالغ في بناء ملكه ومظاهر عرشه فارتدي تاجاً مرصعاً وجلس علي سرير من ذهب وكان كبار قواده يجلسون علي سرير من فضة وعند جلوسه علي عرشه يقف العساكر صفواً بالبعد عنه وحجب نفسه فكان لا يخاطب أحداً ، وخصص الحجاب لمخاطبة الناس فخافوه خوفاً شديداً وكأنه بذلك أحيا ملك الدولة الساسانية وطبق مراسم الملك التي كانت تتبع في قصور الأكاصرة (٣) .

(١) عبد الله رازي : تاريخ كامل إيران ، ص ١٧٠ ، ط إقبال .

(٢) عبد الله رازي : تاريخ كامل إيران ، ص ١٦٦ ، ط إقبال .

(٣) عبد الله رازي : تاريخ كامل إيران ، ص ١٧٩ .

وقد حرص « مردايج » أيضاً علي إحياء العادات والتقاليد الإيرانية إبان فترة حكمه ، مما يذكر في ذلك أنه في سنة ٣٢٣ هـ أقام حفلاً كبيراً علي نهر « زرين رود » قرب أصفهان وكان في هذا الحفل إحياء للعادات الفارسية في كل مكان بالوادي في وقت واحد وجعل في مجلسه الخاص تماثيل من الشمع ، وعمل له سماط كبير في الصحراء ، وجمع فيه آلاف كثيرة من الحيوانات والبقر والغنم ، ودعي الناس دعوة عامة إلي هذا الاحتفال (١) .

وكان للأتراك دور كبير في إعداد هذا الاحتفال رغبة في قتل « مرداويج » فمزالوا يخدعون حراسه حتي سنحت لهم الفرصة وقتلوه في الحمام ، وقام وزيره « الحسن بن العميد » بنقله من أصفهان إلي الري حيث تم دفنه (٢) .

وقد سعد أهل أصفهان بمقتل مرداويج لظلمه وجبروته ، وتخريبه لديارهم ، وعبر الشعراء عن فرحتهم الغامرة بذلك الحدث ومما يذكر في هذا الصدد :

علت أصفهان الأرض فضلاً مبيناً علي كل صقع والطوائف تشهد

(١) ابن الأثير : تاريخ ، ص ٢٩٨ ، ج ٨ ، حوادث ، سنة ٣٢٣ هـ .
آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ص ٢٨٨ ، ج ٢ ، الترجمة العربية لأبي ريده ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .
جشن سده : ص ٢١ ، ٢٢ ، ط طهران ، ١٣٢٤ هـ .
(٢) مجمل التواريخ والقصص : ص ٣٨٩ ، عبد الله رازي : تاريخ كامل إيران ، ص ١٩٨٠ .
حسين نور صادقي : أصفهان ، ص ٨ .

ومن فضلها أن الخليل دعا لها عليه السلام مادعا متهجدا
فصرنا به في ظل عز ومعتل حصين أمين الركن ليس يهدد
فمن يبغها غياً غوائل ينتكس وأورطه الأمر الذي كان يقصد
ولما يثسنا من تولي أمورنا ولا يأس من روح الذي نحن نعبد
تجرد في الحمام يطلب راحة وغلمته في قتله قد تجردوا
فعاجله التركيبي لله دره بمشقة والغرب منها محدد
وقال شاعر آخر :

جعل الله أصفهان قديماً في حمي دعوة الخليل أينا
فهي شوم علي الظلوم فتوك بالطغاة الخوارج المعتدين
من بغى أهلها الغوائل والسو ، أذاقته في الهوان المنونا^(١)

وهذه الأبيات السابقة لخير تعبير يصور لنا مدي فرحة الناس بمقتل مرداويج ، وقوة شعورهم بأن أصفهان أرض مباركة يحميها الله عز وجل ويحفظها برعايته منذ دعوة الخليل لها ، وهي مصدر شوم وشقاء علي كل باغ أو معتد يريدها بسوء .

وفي هذه الفترة عاشت أصفهان فترة من الصراع والحرب نشأت بين الزياريين والبويهيين فبعد مقتل « مرداويج بن زيار » خضعت أصفهان لحكم أخيه « وشمكير بن زيار » ولكن ركن الدولة « أبا علي

(١) المافروخي : محاسن أصفهان ، ص ٣٦ .

الحسن بن بويه « توجه لمحاربتة علي رأس جيش كبير ، وبذلك صارت أصفهان في يد ركن الدولة « ابن بويه » ويد « وشمكير » أخي « مرداويج » يتنازعان عليها (١) .

وحرص البويهيون علي إحراز انتصار في أصفهان فأرسل معز الدولة « أبو الحسن أحمد بن بويه » عسكره إلي أخيه ركن الدولة بأصفهان معونة له ومدداً علي حرب « وشمكير » (٢) .

فتمكن « أبو الحسن بن بويه » من إحكام سيطرته علي أصفهان ولكن مالبث أن يستقر البويهيون حتي أرسل « وشمكير بن زيار » جيشاً كثيفاً من الري إلي أصفهان فأزال بني بويه عنها واستولي عليها وخطب فيها لـ « وشمكير » ، ثم سار ركن الدولة إلي بلاد فارس ونزل يظاهر اصطخر بينما سار « وشمكير » إلي قلعة « الموت » فملكها (٣) .

وفي سنة ٣٢٨ هـ عاد ركن الدولة واستولي علي أصفهان وأخرج عنها أصحاب « وشمكير » فقتل بعضهم وأسر بعضهم ، وكان سبب ذلك أن « وشمكير » كان قد أنفذ عسكره إلي « ماكان » نجدة له فخلت بلاد « وشمكير » من العساكر ، وسار ركن الدولة إلي أصفهان وبها نفر يسير من العساكر فهزمهم واستولي عليها ، وكان هو وأخوه

(١) ابن الأثير : تاريخ ، ص ٢٢٣ ، ج ٨ ، حوادث ، سنة ٢٢٤ هـ .

(٢) ابن الأثير : تاريخ ، ص ٢٤٢ ، ج ٨ ، حوادث ، سنة ٢٢٦ هـ .

(٣) ابن الأثير : تاريخ ، ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ج ٨ ، حوادث ، سنة ٣٢٧ هـ .

عماد الدولة أبو علي بن محتاج بحرسانه علي «ماكان» و «وشمكير» ،
وبعدائه المساعدة عليهما ، فصار بينهم بذلك مودة (١) .

وفي سنة ٣٤٤ هـ خرج عسكر خراسان بقيادة « محمد بن ماكان »
إلي أصفهان فدخلوها ، وكان بها « الأمير أبو منصور بويه » بن ركن
الدولة ، فلما علم بتقدمهم خرج عن أصفهان بالخزائن فأخذها وحرّم أبيه
ثم خرج « ابن ماكان » من أصفهان طالباً ابن بويه حتى أدرك الخزائن
فأخذها وسار في أثره ، ومصادفة اتصل في ذلك الوقت الأستاذ
« أبو الفضل بن العميد » وركن الدولة فعارض « ابن ماكان » وقاتله ،
ولكن الهزيمة لحقت أصحاب ابن العميد ، واشتغل أصحاب « ابن
ماكان » بالتهب .

وبقي « ابن العميد » وحده حتى لحق به نفر من أصحابه ، ووقفوا
معه ، وأتاهم غيرهم فاجتمعوا وحملوا علي الخراسانيين وهم مشغولون
بالتهب وألحقوا بهم الهزيمة فكانوا بين قتيل وأسير وأسر « ابن ماكان »
وأحضر عند ابن العميد ، واتجه « ابن العميد » إلي أصفهان فأخرج من
كان بها من أصحاب « ماكان » وأعاد أولاد ركن الدولة وحرمه إلي
أصفهان واستنقذ أمواله (٢) .

وكان أبو الفتح بن العميد وزير ركن الدولة قد علا شأنه بحيث
يتدخل في معالجة ما يحدث من خلافات بين ركن الدولة وابنه عضد

(١) ابن الأثير : تاريخ ، ص ٣٦٩ ، ٣٦١ ، ج ٨ ، حوادث ، سنة ٣٢٨ هـ .

(٢) ابن الأثير : تاريخ ، ص ٥١١ ، ج ٨ ، حوادث ، سنة ٣٤٤ هـ .

گردیزی : تاریخ گردیزی یازین الأخبار ، ص ٣٠ ، ط تهران ، ١٣٢٧ هـ . ش .

الدولة ، وكان يبذل جهداً كبيراً في هذا الصدد حتى أنه في آخر أيام ركن الدولة - عندما اشتد عليه المرض ولزم الفراش - رتب أبو الفتح لقاء بمنزله في أصفهان حضره ركن الدولة وأولاده ، وتم في هذا الاجتماع تقسيم الولايات التابعة له بين أبنائه ، وأمر فخر الدولة ومؤيد الدولة بتنفيذ أوامر أخيهم عضد الدولة ، والإذعان له بالولاء والطاعة^(١) .

وظلت أصفهان خاضعة للبويهيين ، واتخذها عضد الدولة - الذي كان من أبرز شخصيات بني بويه - عاصمة للملكة^(٢) . وكانت أصفهان في ذلك العهد مركزاً من المراكز المشهورة في العلم والأدب نتيجة لتوجه أمراء آل بويه ووزرائهم إليها^(٣) ، وعلي الرغم من الأصل الفارسي للبويهيين نال الأدب العربي واللسان العربي والعلوم العربية التشجيع في ذلك العصر حتى « كان ممن نبيغ من العملاء والأدباء والفلاسفة في إتجاههم من يعد بحق فخر المملكة الإسلامية في العصور المختلفة »^(٤) . وكان عضد الدولة يشجع النهضة العلمية والأدبية بنفسه وكانت تقام في مجلسه المناظرات^(٥) .

(١) غياث الدين بن همام المعروف بخواندميز : دستور وزراء ، ص ١١٧ ، ط طهران ، ١٣١٧ هـ . ش .

(٢) دونالدولبر : إيران ماضيها وحاضرها ، ص ٥٤ .

(٣) ذبيح الله صفا : تاريخ علوم عقلي در تمدن إسلامي تا أواسط قرن ينجم : ص ١٥٤ ، ج ١ ، ط داتشكاه تهران ، ١٣٤٦ هـ .

(٤) أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ص ٢١٧ ، ج ١ ، ط النهضة المصرية ، ١٩٧٨ م .

والتي جانب الاهتمام بالنهضة العلمية والأدبية اعتنى صاحب بن
عباد وزير البويهيين بالجانب العمراني في أصفهان ، ويعتبر جامع
جورجير من أعظم المباني التي شيدت في هذا العصر ، ويصف
«المافروخي» هذا الجامع في معرض حديثه عن محاسن أصفهان فيقول:
« والجامع الحديث الصغير المشهور بجورجير الذي بناه صاحب كافي
الكفاة وقد أوتي فضلاً علي الجامع الأكبر في صلابة الأطنان وارتفاع
المكان واستحكام البنيان والمثارة التي أجمع المهندسون علي أنه لم يكن
في العالم أرشق منها قدماً وأتم مدأً وأدق عملاً وأحكم تفصيلاً وجمالاً .
قد تأنق في إبداعها الصانع وتنوق ولطف في بنائها ودقق . اتخذها من
اللبن والطين في قرار مكين قيدت قاعدتها من الأرض بقفيز وشيدت
قائمها إلي جزر حريز ارتفاعها مائة ذراع وسطحها باع في باع ، وفي
كل ماعدته وسردته من المساجد والخانكاهات ودار الكتب للفقهاء
مدارس ، وللأدباء مجالس وللشعراء مواسم ومآس ، وللمتصوفة
والقراء محابس»^(١) . وبذلك صارت أصفهان من المدن المتميزة في هذا
العصر فكانت كورة نفيسة كما وصفها صاحب أحسن التقاسيم^(٢) .

وعلي أية حال لم تدم أصفهان في أيدي البويهيين فبعد وفاة عضد
الدولة أخذت الدولة طريقها نحو الإتهيار مما أثار الطمع في الاستيلاء
عليها لدي حكام الأقاليم ، والراغبين في توسيع ممالكهم وبخاصة
الغزنويون^(٣) .

(١) المافروخي : محاسن أصفهان ، ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٢) المقنسي : أحسن التقاسيم ، ص ٣٨٤

(٣) دونالد رليز : إيران ماضيها وحاضرها ، ص ٥٤

فقد استطاع علاء الدولة أبو جعفر كاكويه أن يفرض سيطرته ونفوذه علي أصفهان بعد أن أحكم حصاره عليها (١) .

ومع بزوغ نجم الغزنيين ، وعلو نفوذهم ، واتساع ملكهم في إيران أظهر علاء الدولة أبو جعفر كاكويه الطاعة والولاء لهم حتي يبقوه حاكماً علي أصفهان (٢) .

فأقام الغزنيون في أصفهان ، وخاصة ولي العهد الأمير مسعود الغزني الذي أصبح حاكماً لأصفهان بعد أن استولي عليها وعزل عنها علاء الدولة أبا جعفر كاكويه ، ولما توفي السلطان محمود الغزني تولي حكم الدولة الغزنية ابنه السلطان مسعود (٣) .

وأرسل إليه أمير المؤمنين « القادر بالله » خطاباً يشفع فيه لعلاء الدولة أبي جعفر كاكويه ويطلب إعادة أصفهان إليه علي أن يكون نائباً للسلطان مسعود عليها ، ويقدم كل ما يفرض عليه من مال ضماناً لحسن سيرته وولائه للسلطان ، وقبل السلطان مسعود كتاب أمير المؤمنين وأرسل إليه رسولاً وكتاباً يتضمن قبوله شفاعته أمير المؤمنين وامتنانه بذلك لأن أمير المؤمنين من حقه أن يأمر لا يطلب الشفاعة ، وعلي العبيد الالتزام والطاعة ، ويعرب فيه عن جدارة علاء الدولة بحكم أصفهان

(١) حسين صادقي : أصفهان ، ص ٨ .

(٢) عهد الله رازي : تاريخ كامل إيران ، ص ١٩١ .

(٣) كرديزي : تاريخ كرديزي يازين الأخبار ، ص ٧٢ .

حسين صادقي : أصفهان ، ص ٩ .

خليفة له ، وذلك لأنه أصبح مشغولاً بتدبير شئون الدولة الغزنوية بعد وفاة والده (١) ، فتم الاتفاق علي أن يكون علاء الدولة بن كاكويه خليفة للأمير مسعود علي أصفهان أثناء تغيبه عنها ، وأن يؤدي كل عام مائتي دينار هروي ، وعشرة آلاف ثوب من المنسوجات المنتجة في تلك البلاد ، علاوة علي هدايا أعياد النوروز والمهرجان من خيول عربية، وبقال مسرجة ، وجميع آلات السفر (٢) .

هذا وقد وصل كتاب أمير المؤمنين « القادر بالله » متضمناً التعازي بوفاة السلطان محمود ، والتهاني للسلطان مسعود بإقراره علي حكم ولايات الري والجيل وأصفهان ، فسعد الأمير مسعود بهذه الرسالة وأمر أن تقرأ علي ملأ من الناس ، وأن تنفخ الأبواق ، وتدق الطبول استبشاراً بها وأن تنسخ صوراً من هذه الرسالة وترسل إلي أصفهان وطارم ونواحي الجبل وجرجان وطبرستان ونيسابور وهراة حتي يعلم الناس أنه خليفة أمير المؤمنين وولي عهد أبيه (٣) .

وبذلك عادت أصفهان لحكم علاء الدولة بن كاكويه ، واستمر حاكماً عليها من قبل الغزنيين حتي وفاته سنة ٤٣٣ هـ (٤) . وكانت مدة حكمه عليها قد بلغت نيفاً وأربعين عاماً (٥) .

(١) بيهقي : تاريخ بيهقي باهتمام غني وقياض ، ص ١٥ ، ط تهران ، ١٣٢٤ هـ .

(٢) بيهقي : تاريخ بيهقي ، ص ١٦ .

(٣) بيهقي : تاريخ بيهقي ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٤) عباس إقبال آشتياني : تاريخ مفصل إيران از صدر إسلام تا انقراض قاجارية ، ص ٢١١ ، ط كتابخانه عظيم

(٥) المافروحي : محاسن أصفهان ، ص ١٠٠ .

ومن الآثار العمرانية التي تركها ذلك السور العظيم الذي بناه حول أصفهان فجعل أرضها متميزة به ، ومتفردة بحسنه ويصف المافروخي روعة بنيان هذا السور فيقول : « ومن المحاسن التي تفردت رقعتها بمزاياها وتخصصت خطتها بصفاياها ، السور الذي استحدثه علاء الدولة حول البلدة وهو زهاء خمسة عشر ألف خطوة سوي ما أهمله خارجاً عنها وعطله منقطعاً منها ، من المحال المشهورة مثل كما أن وبرا آن وسنيلان وخرجان وفرسان وياغ عبد العزيز وجروا آن وأشكهان ولنبان ويزاباذ حصاراً راسياً في الثري أساسه وسامياً إلي الثريا رأسه ، تراجع بأركانها الجبال الراسيات ، ويناطح ببروجه النجوم الساريات ، فياله من سور يماسي بقرنه السماء ، وخذق يداني بقره الماء وحوله خندق قد ليج لجته فليس يم ولا نيل يناسبه وقد فتح منها أبواباً اثني عشر حديدية يجوز كل واحد منها الفيلة بتخوتها والرايات منصوبة بعذباتها» (١).

ومن الأشعار التي قيلت في وصف هذا السور :

ملأت جوانبه الفضاء وعانقت شرفاته قطع السحاب المطر

وتسيل دجلة تحته ففناؤه من لجة عمر وروض أخضر

وقيل عنه أيضاً :

سور علا قمة العــــيوق ذروته وجاوزت منطلق الجوزا مناكبه

(١) المافروخي : محاسن أصفهان ، ص ٨١ .

من دون أبرجة في أبرج الفلك الدوار تري متي تسري كواكبـه
لو كان يحضر بأجوجاً لفتحـت نوماً وأعجزها نقباً مناقبه^(١)
وما ورد في هذه الأشعار يدل علي ضخامة هذا السور في
جوانبه، وعظمة علوه وارتفاعه ، وقوة رسوخه وثباته .

وقد تولي حكم أصفهان بعد علاء الدولة بن كاكويه ابنه ظهير
الدين أبو منصور قزهرز ومازال عليها حتي بداية العصر
السلجوقي^(٢) .

وفي فترة حكم الغزنين شهدت أصفهان أحداثاً جساماً ولاسيما
عام ٤٢٣ هـ عندما شن السلطان مسعود غارته الشعواء علي أصفهان ،
وقتل ما لا يحصي عدده من البشر ، حتي قيل عنه إنه « فعل
مالاتفعله الكفرة »^(٣) .

ودخل الناس المسجد الجامع في جموع محتشدة مفزعة من جميع
أبوابه وأيضاً الجنود مشهرة أسحلتها ويصف المافروخي هذا الحادث
فيقول : « وتراعت أبواب المسجد بكراديس من الأتراك والهنود وسائر
الأصناف من الجنود ينسلون منها غضاباً مشرعين حراباً وشاهرين سيوفاً

(١) المافروخي : محاسن أصفهان ، ص ٨١ .

(٢) عباس إقبال آشتياني : تاريخ مفصل إيران ، ص ٣١١ ، ٣١٢ .

(٣) ابن عماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ص ٢٢٦ ، ج ٣ ، ط بيروت .

عضاباً ، فاحتشوهم ولم يجدوا عنهم وزراً ، وتقسمتهم النصال جزراً
فقتل بعضهم صبراً وأثخن بعضهم فضرب ضرباً هيراً (١) .

وفي هذه الفترة كذلك نمت وترعرعت فرق الإسماعيلية ، ونشأت
الصراعات بين المذاهب والفرق الدينية في أصفهان التي كانت مركزاً
للإسماعيلية منذ عهد السلطان محمود الغزنوي واستمرت حروبهم في
عهد السلطان مسعود الذي بذل كل جهده في مواجهتهم ولكنه لم
يستطع القضاء عليهم بل تنامت قدراتهم وازداد نفوذهم يوماً بعد يوم
حتى سنة ٦٠٠ ستمائة هجرية (٢) .

وإلى جانب هذه الأحداث الحربية والصراعات المذهبية كانت
أصفهان واحداً من المراكز الحضارية المتميزة ، ومجمعاً للعلماء والأدباء
التي ازدهرت في العصر الغزنوي .

وعندما أخذ نجم الغزنويين في الأتول ، وأخذ يعلو نجم آل سلجوق،
كانت أصفهان مسرحاً للحروب بين جيش طغرلبيك مؤسس الدولة
السلجوقية وأبي منصور بن علاء الدولة كاكويه سنة ٤٣٨ هـ ، واستطاع
طغرلبيك أن يحتل المدينة ويفرض حصاره عليها حتى ضاق الناس فاضطر
أبو منصور إلي قبول الصلح ودفع الخراج للسلاجقة ، والخطبة باسم
طغرلبيك (٣) .

(١) المافروخي : معاصر أصفهان ، ص ٤٧ - ١٠٧ .

(٢) حسين صادقي : أصفهان ، ص ١٠ .

(٣) مجمل التواريخ والقصص : ص ٤٠٧ .

عباس إقبال آشتياني : تاريخ مفصل إيران ، ص ٣١٣ ، ٣١٤ .

حسين صادقي : أصفهان ، ص ١٠ .

ونظراً لانتقطاع الود بين طغرلبيك وأبي منصور عاود السلاجقة محاصرة أصفهان سنة ٤٤٢ هـ ، واستمر الحصار لمدة عام حتي اضطر أهلها إلي تسليم المدينة ، ووصل طغرلبيك إلي أصفهان سنة ٤٤٣ هـ ، واتخذها عاصمة للدولة السلجوقية (١) .

وهكذا نري أن أصفهان كانت مدينة إيرانية عريقة - قبل وبعد الإسلام - شهدت مراحل تاريخية مختلفة كانت فيها مجالاً للتنافس والصراع فخضعت في حقب متفاوتة من الزمن إلي حكام وأمراء وسلاطين من الفرس واليونان والعرب والترك ، وكان أغلبهم من العجم .

وقد حاول هؤلاء الحكام بسط نفوذهم عليها توسيعاً لممالكهم أو إحياء لقوميتهم وبعث الروح في تراثهم مما جعل منها مركزاً حضارياً متميزاً عبر العصور ينبعث منه نور العلم والمعرفة ، ومجمعاً للعلماء والأدباء والمفكرين سواء كانوا من أهل أصفهان أو من العواصم الإسلامية الأخرى ، وموقداً لطلاب العلم من كل مكان .

ونظراً لأن مقام هذا البحث لايسع الخوض في غمار الجوانب الحضارية بصفة عامة ، والحياة الأدبية منها بصفة خاصة . سيخصص الباحث بحثاً آخر يتناول فيه عرضاً لمظاهر الحضارة في أصفهان بعامة مبرزاً فيه دور العلماء والأدباء في نهضة أصفهان سواء كانوا من العرب أو الفرس أو كانوا من أهل أصفهان أو ممن وفدوا إليها ، والله ولي التوفيق .

(١) عباس إقبال : تاريخ مفصل إيران ، ص ٣١٥ .

عبد الله رازي : تاريخ كامل إيران ، ص ١٩٦ .

المصادر والمراجع العربية

- ١ - الآثار الباقية : البيروني - طبعة المثنى ببغداد .
- ٢ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : المقدسي - طبعة ليدن ١٩٠٦ .
- ٣ - الأعلام النفيسة : ابن رسته - طبعة ليدن ابريل ١٨٩١ م .
- ٤ - إيران : ماضيها وحاضرها : ترجمة عبد النعيم حسنين وإبراهيم الشواربي - طبعة القاهرة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨ م .
- ٥ - البيان والتبيين : الجاحظ - طبعة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد ١٣٨٠ م .
- ٦ - تاريخ الحضارة الإسلامية : بارتولد - طبعة دار المعارف - ترجمة حمزة الطاهر .
- ٧ - تاريخ الرسل والملوك : للطبري - طبعة دار المعارف ١٩٧٩ م .
- ٨ - تقويم البلدان : ابن شاهنشاه - طبعة باريس ١٨٤٠ م .
- ٩ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : آدم متز - ترجمة أبي ريذة - طبعة دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .
- ١٠ - دائرة المعارف الإسلامية : طبعة الشعب .
- ١١ - ذكر أخبار أصفهان : أبو نعيم - طبعة ليدن ١٩٢١ م .
- ١٢ - الشاهنامه : ترجمة عبد الوهاب عزام - دار الكتب المصرية ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢ م .
- ١٣ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن عماد الحنبلي - طبعة بيروت .
- ١٤ - صورة الأرض : ابن حوقل - طبعة ليدن ١٩٣٩ م .
- ١٥ - ظهر الإسلام : أحمد أمين - طبعة النهضة المصرية ١٩٧٨ م .

١٦ - فتوح البلدان : البلاذري - طبعة شركة طبع الكتب العربية ١٣١٧هـ -
١٩٠٠م .

١٧ - الكامل في التاريخ : ابن الأثير - طبعة بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

١٨ - محاسن أصفهان : مفضل بن سعد بن الحسين المافروض الأصفهاني
- طبعة طهران .

١٩ - مختصر كتاب البلدان : الهمداني - طبعة ليدن أبريل ١٣٠٢هـ .

٢٠ - المسالك والممالك : ابن خرداذبه - طبعة ليدن ١٣٠٦هـ .

٢١ - معجم البلدان : ياقوت الحموي - طبعة بيروت ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .

٢٢ - المغرب : الجواليقي - طبعة دار الكتب ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

المصادر والمراجع الفارسية

١ - أصفهان : حسين نور صادقي - طبعة تهران اسفند ١٣١٦ .

٢ - تاريخ بيهقي : باهتمام غني وفياض - طبعة تهران ١٣٢٤هـ .

٣ - تاريخ علوم عقلي ورتمدن إسلامي تا أواسط قرن پنجم - ذبيح الله صفا
- طبعة دانشگاه - تهران ١٣٤٦هـ .

٤ - تاريخ كامل إيران : عبد الله رازي - طبعة إقبال .

٥ - تاريخ كرديزي يازين الأخبار - كرديزي - طبعة تهران ١٣٢٧هـ .

٦ - تاريخ مفصل إيران از صدر إسلام تا انقراض قاجاريه : عباس إقبال
أشتياني - طبعة كتابخانه خيام .

٧ - دستور الوزراء : غياث الدين بن همام المعروف بخواندمير - طبعة تهران
١٣١٧هـ .

٨ - سبك شناسي : محمد بهار - طبعة تهران .

- ٩ - شاهنامه فردوسی : فردوسی - طبعة بروخيم - طهران ١٣١٢ هـ .
- ١٠ - فارس نامه : ابن البلخي - طبعة كمبريج ١٣٢٩ هـ - ١٩٢١ م .
- ١١ - مجمل التواريخ والقصص بتصحيح ملك الشعراء بهار : بدون مؤلف .
- ١٢ - نزهت القلوب : حمد الله مستوفي قزويني - طبعة بمباي ١٣١١ هـ - ١٨٩٤ م .

المراجع الاوروبية

F. Steingass : Persian English Dictionary, Liban 1944.